أحداث سورية والتعتيم الرهيب

(زاخاروف) رجل مضطهَد .. يطالع القارئ اسمه مرّات ومرّات في الصحف والمجلاّت أسبوعيا .. بل يومياً في كثير من الأحيان ، وتعلن اللجنة الدولية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في ختام دورة اجتماعاتها لهذا العام أنّه وقضيته سيكونان أحد المواضيع الرئيسية الثلاثة في دورة الاجتماعات المقبلة لعام 1981م ..

(الرهائن الأمريكيون) .. أصبحوا قضية دولية ، لا تهتمّ لها أجهزة الإعلام في الشرق والغرب والشمال والجنـــوب فحسب ، بل تبحثها الأمم المتحدة ممثّلة بأهمّ مؤسساتها مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية ..

(سليم اللوزي) صحافي قدير ، اغتالته يد غادرة .. فأصبح قضية تخصّص لها افتتاحيـــات كبريـــات الـــصحف والمجلاّت العربية في الموطن والمهجر .. ممّن يلتقي أو لا يلتقي مع الضحية في منهجه أو في مواقفه ..

هذه أمثلة فحسب .. ولا اعتراض على الكتابة فيها ، ولا حاجة للتساؤل عن الدوافع الحقيقية لأصحاب الأقلام الإعلامية من وراء ذلك .. يقولون هي دوافع إنسانية ، أو هي المبادئ ، أو هي حريّة الكلمة ..

لا اعتراض على ذلك إن صدقوا فيه .. وسواء تغنّوا به في بلد غربي يضمن بعض الحريّة لساكنه –حسبما يـــرى هو– ويدوس الحرية بالأقدام في بلدان أخرى .. أو تغنّوا به في بلد عربي ، ليس لهم فيه من الحرية إلاّ مقدار محدود .. إلاّ النصف الذي يرضي الحاكم .. ترضونه –أيها الصحافيون– بالسكوت عنه هو ، راضين أو كارهين ، لتتكلمـــوا فيما عدا ما يتعلق به .. أما نصف الحرية الثاني ، فهو الذبيح بشفرات تصنعها ألسنتكم وأقلامكم عن قصد أو غـــير قصد ، شفرات يصنعها صمتكم عن رضى أو غير رضى على ما يجري في سورية –وسورية مثال– وأغلـــبكم مـــن شهور وشهور صامت صمت القبور ، أو ناقل حرفاً بحرف ما يردّده الجناة الطغاة .. من دون أنين الضحايا وشكاوى الأبرياء

إذا كان (زاخاروف) –يا أنصار زاخاروف من أنصار الغرب– منفياً يستحقّ المناصرة ، محروماً من الكلمة الحرّة يستحقّ كلمة حرّة فيه .. أليس في القلوب إحساس .. بقيّة إحساس تدعوكم إلى مناصرة المئات ، بل الألوف مـــن المشرّدين والمحرومين من حرية الكلمة .. ومن سائر الحريات والحقوق ، داخل وطنهم في سورية أو خارج وطنـــهم سورية على السواء ؟ ..

إذا كان (الرهائن الأمريكيون) -يا أنصار أمريكا أو المنادين بنصرة قانون دولي- يستحقون ما تثيرون من ضجيج وعجيج في كلّ يوم .. في كلّ صحيفة ومجلّة وتلفزيون وإذاعة .. أليس يستحقّ تسعة ملايين مسلم يعيشون كرهائن للطغيان الطائفي الدكتاتوري في سورية كلمة .. كلمة واحدة تدفع إلى الظنّ بأنّ في الضمائر بقية حياة وفي النفـــوس بعض وجدان ؟ ..

إذا كانت جريمة قتل اللوزي تستحق الاستنكار -وهي تستحقه ككلّ جريمة قتل غادرة بلا جدال- أليس قتـــل الرجال والنساء .. بالعشرات على رؤوس الأشهاد في الطرقات ، وبلا عدّ ولا حصر بعيداً عـــن العيـــون في أقبيـــة المخابرات بسورية .. ما يستحقّ كلمة رثاء .. وقد عجزت عن كلمة استنكارٍ أقلامكم (الحرّة النـــزيهة) القـــديرة على كلّ فنّ من فنون الكتابة ؟ ..

ليس فيكم يا أصحاب الصحف والمجلات والكتّاب فيها ، في الوطن والمهجر ، إلاّ من يؤكّد على حرية صحيفته أو مجلته ، ونزاهة قلمه وقلبه ، بمناسبة ودون مناسبة ، وعلى استقلاليته وموضوعيته ومسؤولية الكلمة عنده .. علـــى ولائه للقارئ من دون الساسة وأموالهم .. على وضعه المبدأ فوق المصالح الدنيوية .. وعلى .. وعلى .. فماذا يبقـــى لكم من ذلك كلّه ، ماذا تكون قيمة حياة الصحفيّ نفسها ، إذا كان يرى لحياة (زاخاروف والرهائن) قيمة بمنظار ، أيّ منظار ، فيكتب رأيه -ولا اعتراض- ويرى قيمة حياة مروان وعبد الستار ومصطفى وبسّام بمنظار آخـــر .. أيّ منظار ، فيسكت -وهنا الاعتراض- مساهماً في التعتيم الرهيب على الأحداث المتفجّرة منذ شـــهور وشـــهور .. إلى درجة التواطؤ في بعض الأحيان .. وهو لا يخجل في نفس الوقت من ترداد ما يقوله من يهدّد بمزيد من البطش بـــلا رحمة ، ومزيد من التنكيل بلا هوادة .. كالأسد ، والكسم ، وطلاس ، وأمثالهم ؟ ..

أم أنّكم لا ترون فيما يجري من أحداث ما يستحقّ بضع صفحات أو بضع سطور ؟ .. والكـــثير الكـــثير مـــن صفحات مجلاّتكم وصحفكم حافل بأخبار الطرب والغناء .. وربّما المجون والفجور ، تجمعونها من أقصى الأرض إلى أقصاها ، وأهلكم .. أبناء بلدكم .. أطفال سورية .. يستغيثون لا يغنّون ، ويئنّون ولا يطربون .. وأنتم تـــسمعون وتسكتون ، خوفاً أو طمعا .. وفي بعض الأحوال مشاركة وإقرارا

هل خبر دخول السيارات المدرّعة والدبابات إلى شوارع حلب ومقتل 300 مسلم فيها خلال يومين اثنين خـــبر عادي يومي .. لا يستحق النقل ، مجرّد النقل بأقلامكم دون تعليق إن خشيتم التعليق ، وقد ذكرته بعض وكـــالات الأنباء على استحياء وتردّد ، ووصل إلى مكاتبكم الفخمة ، أو إلى أسماع وأنظار مراسليكم المنتشرين في كل مكان ؟ ..

هل خبر الصدامات الدموية مع التجّار والعلماء وعامّة المتظاهرين من أبناء الشعب ، وتكسير أبـــواب المتـــاجر ، وإرسال أكثر من عشرة آلاف فرد من القوات الخاصة إلى حلب الثائرة ، وإحاطتها بأكثر من 130 دبابة ، وحصار

الجنود للاذقية ، ونشر سرايا الدفاع في حماة وحمص ودمشق .. و .. و .. هل كلّ هذا أقلّ شأناً في تقديركم مـــن خبر (فضيحة فنية) و(حفلة صاخبة) و(زواج ممثلة) و(طلاق أخرى) .. و .. و .. ممّا تنشرون ؟ ..

هل أخبار حراسة المساجد ، ومنع المصلين من أداء صلاة الجمعة في حماة ، وحظر التجوّل في المـــدن ، وتمـــشيط البيوت بيتاً بيتا .. هل سماع صوت المدفعية في حلب ، وتبادل إطلاق النار ساعات مرّة بعد أخرى في حيّ الميـــدان بدمشق ، ومعركة السلطة مع الشعب قرب المعرّة .. هل أخبار إضراب المحامين ، واحتجاجات العلمـــاء والأطبـــاء والطلبة والحقوقيين ، والمحاكم الصورية والإعدامات ، والاعتقالات العشوائية والتعذيب ، ومهاجمة قـــرى بكاملـــها بالطائرات العامودية .. هل خبر رفع ميزانية مخابرات (الأمن) في سورية إلى نصف مليار ليرة (بزيادة 45% عن عـــام 79م) واعتقال أمّهات المجاهدين وأخواتهم .. هل هذا كلّه يا رؤساء التحرير المسؤولين ، ومدراء التحرير والمحررين ، لا يستحق أكثر من تحويله إلى (سلة المهملات) .. وأنتم تلتقطون من الأخبار ما تجعلونه (قضية) وربّما تعتبرونه (سبقاً صحفياً) ، فتفردون له المقالات ، وتلوّنون به الأغلفة والصفحات الداخلية ؟ .. ونذكّركم بأمثلة على غير تعـــيين .. بمقال بعنوان : (دومنيك تريد أن تبكي وقلوبنا لم تعد تتحمّل البكاء) ، ظهر في مجلّة صـــدرت يـــوم 80/03/08م وحلب دامية ، و(دومينيك) ليست أمّاً سورية قتلوا ابنها الشاب ، ولا فتاة سورية اغتصب شرفها في قبو مخـــابرات ، ولا طفلة سورية لا تعرف لأبيها مصيرا .. (دومينيك) التي لم تعد (تتحمّل قلوبكم البكاء) من أجلها .. ممثلّة فرنسية ، الحديث عنها في نظر أصحاب المجلّة جزء ممّا تريده لأمتنا العربية والإسلامية ..

ونذكّركم بمقال : (الجديد عند مطرب "يا سالمة ويا ساحر العينين" ، ظهر في مجلة صدرت يـــوم 79/03/22م والسلطات السورية تقصم ظهر البعير وقد ناء من قبل بفنون التمييز الطائفي .. بتسريح مئات الأساتذة بتهمة الاتجاه الإسلاميّ ، وتعيين أبناء الطائفة الحاكمة مكانهم .. وليس في تلك المجلة وفي كثير سواها آنذاك .. كلمة واحدة عـــن هذا (الخبر الجديد) في سورية المنكوبة ككثير سواها من البلدان العربية بحكام دكتاتوريين ، وأعوان مهلّلين ومصفّقين .. وصحفيين يكتبون بنصف حريّة ، وفي جعبتهم ولا ريب المزيد من مثل تلك المقالات .. من دون الكلمة الحـــرّة الجريئة المسؤولة

وإنّ مستقبل أمتنا في سورية وغير سورية ، لا يصنعه كاتب بنصف حرية ، ولن يحول دون بنائه حاكم يئد الحرية

مستقبل أمتنا يصنعه النضال .. نضال الرجال ، بالدم والقلم ، يصنعه الصمود .. صـــمود المجاهـــدين للعقبـــات والمغريات ، وتصنعه أيضاً تلك الكلمة الحرّة الأبية .. النـــزيهة الصادقة .. الواعية المسؤولة .. التي نفتقدها ، ونفتقد صاحبها الذي يكون على استعداد لدفع ثمنها إذا لزم الأمر ، وهو آنذاك قسطه من الجهاد لبنـــاء المـــستقبل .. أمّـــا المتردّدون الساكتون .. وأمّا المقرّون المشاركون ، فلن تجد لهم صفحات تاريخ الأمم ولا صفحات تاريخ الـــصحافة والإعلام مكاناً ، إلاّ في ذيل الحديث عن طاغية من الطغاة .. تسبقه وتلحق به اللعنات

وشعبنا القادر على تمييز المخلصين ، يطلب النصرة من الله العزيز القدير .. وإنّه لمصمّم كلّ التصميم على متابعـــة جهاده المشروع حتى يتحقق النصر ، وما النصر على الله بعزيز ، حتى يسقط الطاغوت –وما خلد في الدنيا طاغوت– وحتى ينفتح الطريق إلى المستقبل الحرّ الكريم ، مستقبل العزّة والتقدّم ، مستقبل الحياة الإسلاميّة والحكم الإســـلاميّ ، ولينصرن الله من ينصرُه إنّ الله لقوي عزيز